

## الأوضاع التعليمية في لواء الموصل في النصف الثاني من القرن التاسع عشر

احمد جاسم حمود

ماهر حامد جاسم النورة

جامعة الموصل/ كلية التربية الأساسية/ قسم التاريخ

(قدم للنشر ٨/٨/٢٠٢٢، قبل للنشر ٩/٩/٢٠٢٢)

### ملخص البحث :

عانت الأوضاع التعليمية في الموصل من الإهمال لفترة طويلة ويرجع ذلك إلى إن الموصل أصبحت خلال العهد العثماني مسرحاً للحروب والغزوات ، ومنذ منتصف القرن التاسع عشر بدأت الموصل تشهد بوادر تحول وان كان تدريجياً في مجال التعليم تمثل في ظهور المدارس الرسمية والأهلية والأجنبية الحديثة ففي سياق حركة الإصلاحات العثمانية (عهد التنظيمات 1839-1876 ) صدرت قوانين واتخذت اجراءات لتحسين اوضاع التعليم واخضاعه لإشراف الدولة ففي سنة ١٨٤٦ صدر قانون نادى بمبدأ التعليم المجاني والالزامي وتأسست في السنة التالية وزارة المعارف العامة "معارف عمومي نظارتي" كما صدر قانون المعارف العامة " معارف عمومي نظامنامه سي" في سنة ١٨٦٩ ، ورغم هذه الاصلاحات التي قام بها بعض الولاة العثمانيين ، الا انها لم تترك أثراً في الموصل حتى العقد الاخير من القرن التاسع عشر فقد تأسست فيها مدرسة ابتدائية في سنة ١٨٦١ وكانت تضم صفوفاً للمرحلة المتوسطة (الرشدية) حتى سنة ١٨٩٠ حينما انفصلت الابتدائية عن المتوسطة اما المدرسة الثانية التي فتحت في الموصل فهي مدرسة الصنائع التي اسسها مدحت باشا سنة ١٨٧١ اما دائرة معارف الموصل فقد تأسست في عام ١٨٩٤ .

تطرقنا في بحثنا الموسوم (الأوضاع التعليمية في لواء الموصل في النصف الثاني من القرن التاسع عشر عن احوال التعليم متمثلاً بالكتاتيب والمدارس الدينية في الموصل في تلك الفترة وذلك لأنها كانت تشمل كتاتيب البنين وكتاتيب البنات وكذلك المدارس الدينية (العلمية) والمدارس الرسمية الابتدائية والرشدية المدنية للبنين والبنات .

الكلمات المفتاحية : كتاتيب - لواء الموصل - المدارس الرشدية - المساجد - سالنامة- الملالي



## **Educational conditions in the Mosul Brigade in the second half of the nineteenth century**

**Mahir Hamed Jassim Al-Noora**

**Ahmed Jassim Hmmud**

**University of Mosul / College of Basic Education/ Department of History**

### **Summary:**

The educational conditions in Mosul suffered from neglect for a long time, due to the fact that during the Ottoman era, Mosul became a scene of wars and invasions, and since the mid-nineteenth century, Mosul began to witness signs of a gradual transformation in the field of education represented in the emergence of modern public, private and foreign schools, in the context (of the reform movement The Ottomans (Tanzimat Era 1839-1876 Laws were issued and measures were taken to improve the conditions of education and subject it to state supervision. In the year 1846, a law was issued calling for the principle of free and compulsory education, and the following year the Ministry of Public Education was established, "Amour al-Maarif al-Amami Nazrati," and the Public Knowledge Law was issued, "Public Knowledge, Systemamah C" in 1869, despite these reforms. Which was carried out by some Ottoman governors, but it did not leave a trace in Mosul until the last decade of the nineteenth century. An elementary school was established in it in the year 1861, and it included classes for the intermediate stage (Al-Rushdiyah) until the year 1890 when the primary school separated from the middle school. As for the second school, which opened In Mosul, it is the School of Trades, which was founded by Midhat Pasha in 1871. As for the .Mosul Encyclopedia, it was founded in 1894

In our research tagged (the educational conditions in the Mosul district in the second half of the nineteenth century), we discussed the conditions of education, represented by the religious schools and schools in Mosul at that period, because they included the boys' and girls' schools, as well as religious (scientific) schools, and official primary and civil schools for .boys. and girls

**Keywords: Katatib - Mosul Brigade**

**- Rashidiya schools - Mosques - Salnamah – Mullahs**

## أولاً: الكتاب :

### ١ . كتاب البنين :

لم تكن هذه الكتابات في الواقع الا من بقايا التعليم الاولى عند العرب ونوعاً من المدارس الدينية التقليدية وامتداداً لأسلوب التعليم الذي سار عليه المسلمون الاولون ، والكتاتيب او ما يعرف (بالملاي) في العراق هي اشبه بالمؤسسة التعليمية الاولى التي يدخلها الاطفال في الغالب بعد اتمامهم سن الثالثة او الرابعة من العمر<sup>(١)</sup> وكان الغرض الأساسي من تأسيس هذه الكتابات هو تحفيظ الطلاب آيات القرآن الكريم وتلقينهم اصول الدين واحكامه فكان الطفل بعد اتمامه الثالثة او الرابعة من عمره يرسله اهله الى الكتاب (الملا) وليس هذه في العادة الا حجرة او سرداباً ويضم هذا المكان الضيق عدداً من الاطفال حيث لا توجد صفوف فيجلسون على الحصر (البواري) واضعين بين ايديهم المصحف (القرآن الكريم) او احد اجزائه للمبتدئين من الاطفال<sup>(٢)</sup> ويزود الطلبة بألواح خاصة للكتابة ومحبرة وبعض اقلام من القصب كي يكتبوا عليها الحروف الابجدية في دراسة الخط والارقام في دراسة الحساب<sup>(٣)</sup> .

كان يدير الكتاب (الملا) شيخ قارئ للقرآن الكريم وحافظه ويتكسب بالتعليم او امراة مسنة تسمى (الملاية) حفظت القرآن الكريم واحسنت تلاوته ، وربما يشترك اكثر من ملا واحد في ادارة الكتاب وتعليم الاطفال قراءة القران اذا كان عدد الطلاب كبير وكان يشرف على البعض من هذه الكتابات (هيئات اسلامية) اعتقاداً منها : ان المدارس الحكومية الاولى التي انشئت في اواخر الحكم العثماني في العراق لا تعني العناية الكافية بدراسة القران الكريم والدين الاسلامي وتلاميذها يعفون من المصروفات وتتفق على هذه المدارس جمعيات غرضها المحافظة على القران الكريم من هبات الافراد واموال الوقف ومن مصالح تعليمية تابعة للأوقاف او الهيئات الخيرية الخاصة بيد ان ما تتلقاها هذه الكتابات من دعم كان نسبياً<sup>(٤)</sup> لا سيما وان التعليم في هذه المؤسسات كان مجاناً الا ان الاباء عادة كانوا يسهمون في تقديم بعض الاموال الى (الملاي) الذين يعلمون الاطفال القران الكريم والكتابة والحساب<sup>(٥)</sup> .

كما ان الحكومة كانت لا تقدم اية مساعدة مالية الى هذه الكتابات التي ظلت تعمل وفق اساليب خاصة تجمع بين اسوء الظروف الصحية مع طرائق تعليمية متدنية<sup>(٦)</sup> وكان الصبي اذا تم ختم القرآن في الكتاب على يد الملا يجرى له حفل تكريمي كبير يتقدمه الصبي (الخاتم) والملا ، يحف بهم جمع غفير من الناس اغلبهم من الصبيان وفي المقدمة الخلفة بيده

ورقة فيها خطبة (الختمة) يقرأها على نحو خاص وعند كل مقطع يجيب التلاميذ عالياً : (امين) ، ثم ينهي الخلفة الخطبة على الوجه التالي :

اختم لنا بالايمان .امين - لنا وللمسلمين - امين

بالذل قد اتينا - امين - فاننا معصومين - امين

يا ربنا استجبنا هذا الذي دعينا - امين

ونختم بالصلاة - امين - على زكي الذات - امين

واختم لنا بالايمان - امين - عند الممات - امين

وبهذا يعتبر الطالب خريجاً وتنتهي صلته بهذا المكان<sup>(٧)</sup> ولا توجد احصائية دقيقة عن عدد الكتاتيب في العراق الا ان ثمة احصائية تخمينية تشير الى انها كانت في اواخر العهد العثماني لا تقل عن ٤٠٠ كتاب<sup>(٨)</sup> ومن تقاليد هذه المؤسسة أن الملا كان يحاسب الصبيان حتى يوم عطلتهم وهي يوم الجمعة فكان للملا (طمغة) ختم يختم فيها بالحبر على اذرع الصبية او على سيقانهم يوم الخميس من كل اسبوع في موسم الصيف ليردعهم عن السباحة في النهر ويجنبهم عواقب الغرق لصغر سنهم ومن اراد الاغتسال منهم فلا بد ان يتقدم احد ذويه الى الملا طالباً اذنه في ذلك حتى يعفوه من طمغة الاسبوع<sup>(٩)</sup> .

## ٢. كتاتيب البنات :

كان وضع المرأة العراقية ومكانتها ابان العهد العثماني كان في غاية التأخر بسبب ضغط التقاليد والموروثات الاجتماعية عليها وكان الناس في هذه الفترة يعتقدون بان مجرد تعليم المرأة القراءة والكتابة يؤدي الى افسادها وخروجها عن جادة الصواب فكان تعليمها نادراً ولم يكن في البلاد الا عدد قليل من المدارس والكتاتيب لتعليم القراءة والكتابة<sup>(١٠)</sup> وبهذا كان تعليم البنات يكاد ينعدم اذا استثنينا طائفة من الكتاتيب البسيطة تديرها (الملايات) لتعليم قراءة القرآن الكريم واصول الديانة وكان يدخلها بنات الاسر الموسرة<sup>(١١)</sup> وكانت طريقة التعليم في الكتاتيب طريقة فردية على اعتبار ان لكل طفل صفراً قائماً بنفسه على الرغم من ان جميع الاطفال كانوا يجلسون في مكان واحد لان الملا كان يعلم كل طفل وحده ويعطيه في كل جلسة ذلك المقدار الذي يتقبله استعداداً ولهذا فختمة القرآن يمكن ان تكون في اي وقت من اوقات السنة فقد يحفظ الطفل قراءة القرآن بسنة او اقل وقد يدقنه اخر بسنتين او ثلاثة احياناً<sup>(١٢)</sup> وقد بلغ عدد الكتاتيب في ولاية الموصل عام ١٨٩٠ (٩٦) كتاباً<sup>(١٣)</sup> .

وفي الفترة الاخيرة من الحكم العثماني للبلاد بدأت الكتابيب تضحل وتتقلص شيئاً فشيئاً بعد ان حلت محلها المكاتب الحديثة والتي تسير على النهج الغربي في انظمتها ومناهجها حيث باشرت الدولة بفتح الكتابيب الاولية والابتدائية والرشدية في بعض اجزاء العراق كي تحل محل الكتابيب التي غدت غير ملائمة للمبتدئين وتسير وفق اساليب قديمة لم تتغير ولم تتطور منذ قرون عديدة<sup>(١٤)</sup>.

### ثانياً : المدارس الدينية (العلمية) :

تطلق هذه التسمية على المعاهد الدينية فقط والتي تلي الكتابيب عادة ، والعثمانيون خصصوا اسم (المدرسة) للمدارس الدينية والمدارس الحديثة فسموها (بمكاتب) وكانت هذه المدارس اشبه شيء بالمساجد الى ان الوجة الثقافية فيها غالبية فادت هذه المعاهد خدمات عظيمة وامتزجت الواحدة بالأخرى وتعاوننا معا على التهذيب والتثقيف فقامت كل مؤسسة بمهمتها والغاية واحدة<sup>(١٥)</sup>.

وهذه المدارس لم تكن سوى امتداد للمدارس العربية في العصور الوسطى الاسلامية وقد تنافس السلاطين والولاة وابناء الاسر الثرية في انشاء المدارس الدينية بدافع الاخلاص للدين<sup>(١٦)</sup> فكانوا يوقفون لها ما يلزمها ويسهلون للناس تلقي العلوم التقليدية ومنها علوم اللغة والكلام والفقهاء والتفسير والصرف والنحو واصول علم الحديث والفلك البلاغة والفلسفة وجعلوا في كل مدرسة خزانة كتب كما كانوا يقدمون التسهيلات للطلاب<sup>(١٧)</sup>.

وكانت معظم مدارس الموصل الدينية تقام في اركان المساجد والجوامع وافردت للقليل منها بنايات مستقلة خاصة وقد بلغ مجموع عدد مدارس مدينة الموصل آنذاك (٣١) مدرسة<sup>(١٨)</sup> منها خمس مدارس لها بنايات مستقلة وهي مدرسة الاحمدية ومدرسة يحيى باشا ومدرسة الحسينية والحاج زكريا ومدرسة الحجيات<sup>(١٩)</sup> وتشير سالنامة المعارف العمومية الى هذه المدارس الدينية ومناطق وجودها بالشكل الاتي<sup>(٢٠)</sup> :

اسم المدرسة	الموقع	عدد الطلبة	المدرسون	سنة التأسيس
١ مدرسة جامع الاغوات	باب الجسر	١٨	سليمان بك الجليبي	١٢٣٠هـ-١٨١٤م
٢ مدرسة جامع الباشا	السوق الكبير	١٠	مفتي محمد افندي	١١٦٩هـ-١٧٥٥م
٣ العبدالية	باب السراي	٥	عبدالرحيم افندي	قبل العهد الجليلي

اسم المدرسة	الموقع	عدد الطلبة	المدرسون	سنة التأسيس
المدرسة الاحمدية	باب السراي	١١	يوسف افندي	١٢٠٧هـ-١٧٩٢م
المدرسة النعمانية	السرڭخانه	٨	عبدالوهاب افندي	١٢١٣هـ-١٨٩٧م
مدرسة يحيى باشا	السرڭخانه	٧	عبدالوهاب افندي	١٢٤١هـ-١٨٢٥م
مدرسة الرابعة	محلة الرابعة	٦	احمد افندي	١١٨٠هـ-١٧٦٦م
مدرسة حسن باشا	محلة الرابعة	١٥	يوسف افندي	١٢٣٣هـ-١٨١٦م
مدرسة باب الطوب	محلة باب الطوب	٥	محمد افندي	١٢٣٢هـ-١٨١٦م
مدرسة النبي شيت	محلة الجوبة	٣٩	عبدالرحمن افندي	١٠٥٧هـ-١٦٤٧م
مدرسة حاجي زكريا	محلة باب الجديد	١٤	محمد افندي	١٢٠١هـ-١٧٨٦م
مدرسة باب البيض	محلة باب البيض	٦	عبدالفتاح افندي	لا يعرف تاريخ بناؤها
مدرسة المحمودين	محلة المحمودين	٦	عبدالرحمن افندي	١٢١٢هـ-١٧٩٧م
مدرسة العمريين	محلة باب الجديد	٢	امين افندي	لا يعرف تاريخ بناؤها الاول جددت سنة ١٢٤١هـ- ١٨٢٥م
مدرسة النبي يونس	قرية نينوى	٨	سيد حسن افندي	لا يعرف تاريخ بناؤها
مدرسة حاجي حسين بك	باب المسجد	١٢	محمد علي افندي	١٢٦٩هـ-١٨٥٢م
مدرسة الخياط	محلة الامام ابراهيم	١٠	محمد افندي	١٢٥٧هـ-١٨٤١م
مدرسة يونس افندي	محلة راس الكور	٤	اسعد افندي	١٢٠٧هـ-١٧٩٢م
مدرسة عبدالله بك	محلة راس الكور	٦	محمد افندي الشعار	١٢٥٨هـ-١٨٦٨م
مدرسة محمود بك	محلة باب النبي	٠	محمد افندي	لا يعرف تاريخ بناؤها
مدرسة النبي جرجيس	محلة النبي جرجيس	٦	محمود افندي	١١٢٩هـ-١٧١٦م
مدرسة حمو القدو	محلة الميدان	٦	احمد افندي	١٢٩٨هـ-١٨٨٠م
مدرسة جمشيد	محلة جمشيد	١٠	محمد افندي	١٢٠٩هـ-١٧٩٤م
مدرسة بنات الحسن	محلة قبو مجيلر	٣	يوسف افندي	١٢٠٧هـ-١٨٥٣م
مدرسة جامع خزام	محلة جامع خزام	٢	داود افندي	٩٥٠هـ-١٥٤٣م
مدرسة حاجي شريف	باب السراي	٥	محمد افندي الشعار	في عهد عمر وهي بك

اسم المدرسة	الموقع	عدد الطلبة	المدرسون	سنة التأسيس
مدرسة النبي دانيال	محلة النبي دانيال	٩	حاجي سلطان افندي	١٢٥٨هـ-١٨٤٢م
مدرسة حويجاتي	محلة باب جديد	٧	محمد افندي الرضواني	١٣٠٣هـ-١٨٨٥م
مدرسة الحجيات	محلة باب البيض	١٠	عبدالباقي جلي الرضواني	قبل ١٢٤١هـ-١٨٢٥م
مدرسة محضر باشي	محلة باب النبي	٣	محمد افندي الفيضي	قبل ١٠٣٩هـ-١٦٢٩م
مدرسة جامع الخاتون	محلة حوش الخان	٤	عبدالرحمن افندي	١٢٤١هـ-١٨٢٥م

ومن الجدير بالذكر ان العثمانيين قاموا بتقويض الحكام الجليليين لإدارة الموصل واحداث هؤلاء نهضة علمية من خلال ما بذلوه من مساعي في سبيل نشر الثقافة بالمدارس التي شيدها وان الكثير من هذه المدارس شيدها الولاة والأمراء وبعض الأسر الموصلية ... فنبغ منهم علماء كانوا قادة للنهضة العلمية<sup>(٢١)</sup> وأصبحت الموصل من المدن التي تشد اليها الرحال ويأخذ من علماءها وأدباءها ويستعان بهم للتدريس في غير الموصل<sup>(٢٢)</sup> .

وكان الناشئ اذا ما اجتاز مرحلة التعليم في الكتابات ثم اراد استكمال علمه حضر الى المساجد والمدارس الدينية وغيرها من الاماكن المقدسة ، وهذه الحلقات تختلف باختلاف اهمية العالم وشهرته ومدة معرفة المجتهد وقوة بيانه وكانت طريقة التعليم ان يجلس المدرس وحوله الطلاب يلقي عليهم دروسه ويناقشهم فيما درسوه ولم تكن هناك صفوف ينتقل فيها الطالب كل سنة<sup>(٢٣)</sup> .

وقد كان لهذه المدارس العلمية الاهلية مكتبات عامرة تساعد الطالب على الدراسة والاستقصاء وكان يصرف على هذه المدارس من الاوقاف التي اوقفها الناس او من بعض البيوتات الميسورة لتزويد الطلاب بالطعام والشراب كي ينصرفوا لتلقي العلوم<sup>(٢٤)</sup> واذا كان ثمة فضل على اللغة العربية في بقاءها وسيلة من وسائل التأليف والنشر والشعر في العراق فإنما هو للمدارس العلمية القديمة التي بقيت تصارع الجهل والعجمة من كل جهة والبحث في هذه المدارس من كل نواحيها امر ليس بالسهل المستطاع لأنها كانت موزعة في الموصل وبقية المدن العراقية الاخرى وكانت مناهجها غير المنظمة مختلفة باختلاف الحاجة اليها وباختلاف البيئات والمذاهب<sup>(٢٥)</sup> كما انها استطاعت ان تلبي احتياجات المجتمع العراقي حتى القرن التاسع عشر فقد ادت دورها في اعداد الفرد للحياة طبقاً للمثل الدينية والاخلاقية التي يدعو اليها الاسلام

وكانت المصدر الوحيد الذي يزود المجتمع آنذاك بما يحتاجه من العلماء والادباء والموظفين والتجار ومختلف المهن الاخرى لخلو البلاد من معاهد العلوم الاخرى (٢٦) .

وقد كانت اهداف المؤسسات الدينية التقليدية منسجمة مع اهداف الدولة العثمانية في اعداد وتربية ابناء البلاد فالهدف الذي انصرفت جهود العثمانيين قروناً طويلة الى بلوغه هو ان يحملوا العراقيين على التوجه بولائهم للدولة والسلطان - الخليفة العثماني - لهذا اهتمت الدولة بالتعليم الديني بحكم طبيعتها حيث يحتل فيها علماء الدين مركزاً اجتماعياً مرموقاً وتأثيراً في توجيه الحكم (٢٧) حيث قام بعض الولاة العثمانيين في بغداد بإنشاء بعض المدارس العلمية وكان الغرض منها هو نشر المذهب الحنفي بالبلاد (٢٨) .

اما في الموصل فقد قام بعض الولاة والاسر الحاكمة بإنشاء المدارس العلمية الاهلية ووقفوا لها بعض الاوقاف (٢٩) وكانت الدراسة في هذه المدارس خالية من العلوم العملية التي تقيد صاحبها في مواجهة الحياة (٣٠) ولم تستطع ان تساير روح العصر بل بعكس ذلك تقهقرت الى الوراء خلال العهود الاخيرة من الحكم العثماني لأنها تجردت بالتدريج عن جميع العلوم العقلية وصارت تكاد لا تهتم بشيء غير العلوم النقلية (٣١) وكذلك لم تكن هناك مؤهلات ومتطلبات علمية تؤهل صاحبها للالتحاق بهذه المدارس . وليس لها مدرء ولا اساتذة دائمون ولا اجور دراسية كما لم يكن للمدرسة موازنة ولا مدة معينة من السنوات للتخرج والتعليم في هذه المدارس يمتاز بالحرية الواسعة النطاق فالطالب حر في اختيار الاستاذ الذي يريد ان يتلقى عليه موضوعاً من المواضيع والدراسة فيها تستمر طوال السنة (٣٢) مع هذا فقد عنيت الدولة العثمانية في اواخر عهدها بتأسيس مدارس رسمية حديثة على النمط الاوروبي تجهز الدولة بما تحتاجه من الموظفين والكتبة لذلك فقدت المؤسسات التعليمية الدينية اهميتها وقل اقبال الطلاب عليها وصار عددها يتناقص وتأثيرها يضعف في المجتمع (٣٣) .

وعلى الرغم من هذا التناقص فقد بقيت تعمل جنباً الى جنب مع مؤسسات التعليم الرسمي الحديثة وتشير بعض الاحصائيات الى ان عددها في العراق في اواخر العهد العثماني بلغ (١٤٩) مدرسة دينية و(٤٠٠) كتاب (٣٤) ومن هنا يمكن القول بان هذه المؤسسات ادت دوراً كبيراً في خدمة الاسلام ومساعدة الناس في فترة عم فيها الجهل والتخلف في الفكر بسبب ما تعرض له العراق من نكبات فقد تحول الى ساحة للمعارك والخصومات مما اثر على البلاد بشكل سيء في كل الجوانب وخاصة في جوانب الفكر والثقافة (٣٥) .



## ثالثاً : المدارس الرسمية المدنية للبنين والبنات

### ١. المدارس الابتدائية الرسمية للبنين :

ان من بين الاسباب التي ادت الى عدم اهتمام الدولة العثمانية بفتح المدارس الابتدائية في العراق واعتمادها على الكتاتيب التي زاد عددها نتيجة لذلك في المرحلة الاولى من مراحل التعليم هو تركيزها على فتح المدارس الرشدية والاعدادية بنوعيتها :المدنية والعسكرية لحاجتها الى خريجي هذه المدارس كما ان رغبة الدولة المستمرة في زيادة وارداتها من الولايات ادت الى امسائها عن صرف الاموال حتى على الخدمات الاجتماعية الضرورية كالتعليم الابتدائي<sup>(٣٦)</sup> ولم يكن نقص المعلمين سبباً في اهمال الدولة للتعليم الابتدائي وتاخرها في فتح مدارسها كما يرى احد الكتاب<sup>(٣٧)</sup> ومهما يكن من امر هذا التأخر في تأسيس المدارس الرسمية الابتدائية في العراق فان اول مدرسة ابتدائية وجدت في ولايات العراق كانت في مدينة الموصل<sup>(٣٨)</sup> وهي مدرسة ابتدائية رسمية اسست قبيل حلول عام ١٨٦١ بمساعي احد وجهاء هذه المدينة وهو فهمي افندي بن مصطفى افندي العمري وقد اضيفت لهذه المدرسة صفوف للدراسة الرشدية في عهد ولاية كنعان باشا (١٨٦١-١٨٦٧) على الموصل<sup>(٣٩)</sup> ويرجع انشاء اول مدرسة ابتدائية رسمية حديثة في ولاية الموصل قبل ولاية بغداد الى عاملين اساسيين :

**اولهما :** ان الحكومة العثمانية قد اتيح لها تنفيذ مخططاتها التعليمية في منطقة الموصل بعد ان احكمت سيطرتها على تلك المنطقة منذ منتصف القرن التاسع عشر حينما قامت باعادة الحكم المباشر على الولايات وذلك بتصفية الامارات والحكام فانتهت بذلك عوامل الاضطراب التي كانت تعم هذه المنطقة من قبل .

**اما العامل الثاني :** وهو قربها للأناضول جعل منها منطقة يمكن للدولة ان تقوم بإدخال التعليم الحديث فيها<sup>(٤٠)</sup> .

ويرى احد الدبلوماسيين الاجانب ان الموصل في اواخر العقد الثامن من القرن التاسع عشر فاقت حلب ودمشق في نهضتها الثقافية ، حيث كانت "في عام ١٨٧٩ ... تؤلف مركزاً ثقافياً بالغ الحيوية ... " وكان القنصل الفرنسي فيها " في تلك الفترة يضعها من هذه الجهة فوق دمشق وبغداد وحلب " ، ويقول "بوسع القاهرة فقط ان تزعم مضاهاتها ..."<sup>(٤١)</sup> اما بخصوص عدد المعلمين في المدرسة الابتدائية الواحدة فكان يتراوح بين معلم واحد الى ثلاثة معلمين ونادراً ما كان يصل الى اكثر من ذلك<sup>(٤٢)</sup> .

وقد نظمت بعض مواد قانون التعليم العام عدة امور تخص طلاب المدارس الابتدائية فقد نصت المادة التاسعة منه على ان التعليم الابتدائي الزامي للبنين في سن السابعة ، ولكن

مسألة الزامية التعليم في المرحلة الابتدائية لم تكن عملية عند تطبيقها خاصة في ولايات العراق ، فبقي هذا الامر حبراً على ورق ولم يكن الا مجرد نظام اقتبسته الدولة من الانظمة الاوروبية .. الفرنسية منها على وجه الخصوص (٤٣) .

اما فيما يتعلق بمواد الدراسة فقد اغفلت المصادر التي بين ايدينا بما فيها السالنامات العثمانية ذكر المواد التي كانت تدرس في المدارس الابتدائية في ولايات العراق في تلك الفترة الا ان قانون التعليم العام الصادر سنة ١٨٦٩ ذكر ان مواد الدراسة في المدارس الابتدائية الحكومية كافة تتألف من : الحروف الابجدية والقران الكريم والتجويد والاخلاق وعلم الحال وتعليم الكتابة ومختصر الحساب ومختصر التاريخ العثماني ومختصر الجغرافية والمعلومات العامة (٤٤) وكانت مدة الدراسة في المدارس الابتدائية الحكومية في بداية انشاءها في العراق من الامور التي يصعب تحديدها الا ان مدة الدراسة في جميع المدارس الابتدائية في الدولة كانت اربع سنين حسبما تقرر في قانون التعليم العام ثم اصبحت ثلاث سنين في العقد الاخير من القرن التاسع عشر (٤٥) كما كانت ادارات المعارف تتولى دفع نفقات ومصاريف المدارس الابتدائية وهذه النفقات والمصاريف كانت تتراوح بين (٢٠٠٠) الى (١٦٢٠٠) قرش للمدرسة الواحدة سنوياً اوائل القرن العشرين وهي رواتب معلمي ومستخدمي تلك المدارس (٤٦) .

## ٢ . المدارس الرشدية والاعدادية للبنين :

كانت هذه المدارس بمثابة المرحلة المتوسطة حالياً وقد سبقت الاشارة الى وجود مدرسة ابتدائية في الموصل تأسست عام ١٨٦١ ، وفي تلك السنة الحقت بهذه المدرسة صفوف لمرحلة الدراسة الرشدية فأصبحت مدرسة ابتدائية ورشدية الا انها كانت تسمى بـ (المدرسة الرشدية) (٤٧) واستمرت هذه المدرسة في عملها كمدرسة حكومية وحيدة في مدينة الموصل حتى عام ١٨٩٠ حيث تأسست في تلك السنة مدرسة رشدية مستقلة في هذه المدينة و اعيدت المدرسة الاولى (الابتدائية والرشدية) الى سابق عهدها كمدرسة ابتدائية فقط (٤٨) .

اما فيما يخص المدارس الاعدادية فقد تأسست في عام ١٨٩٥ اول مدرسة اعدادية في الموصل وذلك حينما اضيفت في تلك السنة صفوف لمرحلة الدراسة الاعدادية الى مدرسة رشدية في مدينة الموصل لتصبح مدرسة اعدادية (٤٩) وقد كانت مدة الدراسة التي يقضيها الطالب في المدرسة الرشدية اربع سنوات حتى اواخر ثمانينات القرن التاسع عشر ولكنها تقلصت منذ العقد

الاخير من ذلك القرن واصبحت ثلاث سنوات وحينما كان الطالب ينتهي من مرحلة الدراسة الرشدية يقبل في المرحلة التي تليها وهي مرحلة الدراسة الاعدادية<sup>(٥٠)</sup> اما مواد الدراسة في هذه المدارس فكانت : العقائد (العلوم الدينية) واللغة التركية واللغة العربية واللغة الفارسية والنحو والصرف التركي والرياضيات والجغرافية والخط والمنطق وحفظ الصحة والرياضة البدنية والرسم<sup>(٥١)</sup> وكانت مديريات المعارف تقوم بدفع جميع نفقات المدارس الرشدية وقد تراوحت هذه النفقات آنذاك بين (٢٤٢-١٢٠٠) ليرة عثمانية للمدرسة الواحدة سنوياً بما فيها رواتب معلمي هذه المدارس<sup>(٥٢)</sup> .

وقد حظيت المدرسة الاعدادية في الموصل باهتمام المسؤولين عن التعليم في الدولة ويرجع ذلك الى حاجة الدولة الى كفاءات ادارية عملية تقوم بتخريجها هذه المدرسة لتساعد على تسيير ادارة الحكومة في الولايات العراقية<sup>(٥٣)</sup> وكان عدد مدرسي المدرسة الاعدادية في الموصل في عام ١٨٩٨ (ثمانية مدرسين) ثم ارتفع ليصل الى ١٢ مدرساً في عام ١٩٠٧<sup>(٥٤)</sup> .

وعند اجتياز الطالب للامتحانات التي كانت تعقد في شهر حزيران لمرحلة الدراسة الاعدادية وللمرحلتين السابقتين لها ايضا يصبح مؤهلاً للدخول في المدارس العالية<sup>(٥٥)</sup> .

اما فيما يتعلق بالطلاب فقد ضمت اعدادية الموصل طلاباً من غير المسلمين وكانت قوانين التعليم وانظمتها قد سمحت باختلاط المسلمين بغير المسلمين منهم في هذه المرحلة الدراسية ومما يجدر ذكره ان نسبة الطلاب غير المسلمين الى مجموع الطلاب المسلمين كانت مرتفعة في اعدادية الموصل<sup>(٥٦)</sup> وقد بلغ عدد طلاب اعدادية الموصل عام ١٨٩٨ (٣٤٢) طالباً بعد ما كانت في بداية تأسيسها لا تضم سوى عدد صغير من الطلاب<sup>(٥٧)</sup> .

### ٣. المدارس الرسمية الابتدائية والرشدية للبنات :

اهملت الحكومة العثمانية انشاء مدارس للبنات في ولايات العراق حتى قبيل حلول القرن العشرين وذلك على الرغم من ان قانون التعليم العام الذي صدر سنة ١٨٦٩ جعل التعليم الابتدائي الزامياً للبنين والبنات على حد سواء ، ولكن هذه الخطوة لم تتسم بالجدية اذ ان القانون المذكور القى بمهمة انشاء المدارس الابتدائية للبنين والبنات على عاتق السكان المحليين ، وكذلك فان هذا القانون تعهد بان تتولى الحكومة انشاء مدارس رشدية للبنات في المدن الكبرى<sup>(٥٨)</sup> .

ولكن الحكومة لم تنشأ بتأسيس المدارس الرشدية للبنات في ولايات العراق الا في عام ١٨٩٦ ففي هذه السنة فتحت اول مدرسة رشدية حكومية للبنات في الموصل (٥٩) وكانت هذه المدرسة أول مدرسة بنات حكومية تنشأ في ولايات العراق كافة .

ويبدو ان تأخر انشاء مدارس البنات الحكومية في العراق يرجع الى عوامل عديدة **اولها** : ان طبيعة المجتمع العراقي المحافظ وقتئذ وهذا الامر لم يعط للإدارة العثمانية دافعاً يشجعها على انشاء هذا النوع من المدارس وبلغ الامر اشده عندما اندفع احد علماء الدين الذي كانت له كلمة مسموعة في حينه لدى الحكومة العثمانية بتأليف رسالة دعا فيها الى تحريم تعليم البنات في المدارس (٦٠) .

**اما العامل الثاني** : فكان طبيعة الاهمال التي كانت تعتبر صفة بارزة من صفات الحكم العثماني في اواخر عهده في العراق وخاصة في مجال الثقافة والتعليم وخلو العراق آنذاك ممن يمكن ان تتناط بهن مهمة التدريس في مدارس البنات ثم صعوبة استقدام المعلمات التركيات في بادئ الامر (٦١) .

وعلى اية حال فان مدرسة البنات الرشدية في مدينة الموصل التي افتتحت في محلة (جامع خزام) كانت تدرس فيها المواضيع التي تدرس عادة في مدارس البنين المماثلة لها في المستوى مع بعض الدروس العلمية التي تختص بها مدارس البنات دون سواها كالتفصيل والخياطة والاعمال المنزلية (٦٢) واستقدمت الحكومة العثمانية مدرسات تركيات للتدريس فيها (٦٣) .

مما لا شك فيه ان المدارس الاهلية المحلية والاجنبية قد ساعدت على تقدم التعليم النسوي لا سيما بين اوساط الطوائف المسيحية في مدينة الموصل في الوقت الذي فرضت فيه الاعراف الاجتماعية السائدة في المجتمع الموصلية آنذاك قيودها على تعليم الفتاة المسلمة الى جانب اهمال الادارة العثمانية انشاء مدارس البنات لفترة طويلة فحالت هذه وتلك دون ان تأخذ الفتاة الموصلية المسلمة نصيبها من الثقافة والتعليم الحديث على ان عدداً صغيراً من الفتيات المسلمات قد نلن نصيباً من هذا التعليم في مدارس الارساليات التبشيرية الا ان الدولة العثمانية لم تتمكن حتى هذا العدد القليل من البنات اللاتي سمحت اسرهن بدراستهن في تلك المدارس من الدراسة فيها فأصدرت قرارها في ثمانينات القرن التاسع عشر بعدم السماح للمسلمين بالدراسة في المدارس الاجنبية (٦٤)

خاتمة :

بقي العراق في العهد العثماني يعيش بولاياته الثلاثة (بغداد والموصل والبصرة) منذ منتصف القرن السادس عشر في حالة اضطراب في أوضاعه السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ولم يجر فيه اي إصلاح ملحوظ حتى أواسط القرن التاسع عشر حيث شهد محاولة إصلاحية في عهد مدحت باشا (١٨٦٩-١٨٧٢) الذي عين والياً على بغداد وزود بصلاحيات واسعة لتنفيذ إصلاحاته في الولايات الثلاث ومن هذه الإصلاحات ما يخص التعليم .

كانت الكتابيب والمدارس الدينية تمثل المؤسسات التعليمية الشعبية التي قامت بدور مهم في حياة المجتمع العراقي وخاصة قبل نشوء المؤسسات التعليمية الحديثة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وقد عانت هذه المؤسسات والمدارس من الإهمال لفترة طويلة ويرجع ذلك إلى إن الموصل أصبحت خلال العهد العثماني مسرحاً للحروب والغزوات.

في سياق ما تقدم يتبين لنا أن ومنذ منتصف القرن التاسع عشر بدأت الموصل تشهد بوادر تحول وان كان تدريجياً في مجال التعليم تمثل في ظهور المدارس الرسمية والأهلية والأجنبية الحديثة

#### الهوامش :

- 
- (<sup>١</sup>) شعلة اسماعيل العارف ، نظام التعليم في العراق ، دار الحكمة للطباعة والنشر ، (بغداد:١٩٩٢) ، ص ١١
- (<sup>٢</sup>) غانم سعيد العبيدي ، التعليم الاهلي في العراق بمراحلتيه الابتدائية والثانوية تطوره ومشكلاته ، مطبعة الجمهورية ، (بغداد:١٩٧٠) ، ص ٣٠
- (<sup>٣</sup>) عبد الرزاق الهلالي ، تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني ١٦٣٨-١٩١٧ ، شركة الطبع والنشر الاهلية ، (بغداد:١٩٥٩) ، ص ٤٨
- (<sup>٤</sup>) دودريك ماثيوز ومتي عقراوي ، التربية في الشرق الاوسط العربي، المطبعة العصرية ، (بيروت: د.ت) ، ص ٤٥
- (<sup>٥</sup>) ابراهيم خليل احمد ، تطور التعليم الوطني في العراق ١٨٦٩-١٩٣٢ ، ط ٢ ، مطبعة جامعة البصرة ، (جامعة البصرة: ١٩٨٢) ، ص ٢٦
- (<sup>٦</sup>) ابو خلدون ساطع الحصري ، مذكراتي في العراق ١٩٢١-١٩٢٨ ، ج ١ ، ط ١ ، دار الطليعة ، (بيروت:١٩٧٦) ، ص ٤٣٧

- (<sup>٧</sup>) خير الدين حسن زبور العمري ، من المهد الى اللحد ، ج ١ ، ص ص ٩-١٠ ، مخطوط بحوزة حفيده المهندس سعود حسن خير الدين العمري
- (<sup>٨</sup>) احمد ، المصدر السابق ، ص ٢٦
- (<sup>٩</sup>) العبيدي ، المصدر السابق ، ص ٣٣
- (<sup>١٠</sup>) صبيحة الشيخ داود ، أول الطريق الى النهضة النسوية ، مطبعة الرابطة ، (بغداد: ١٩٥٨) ، ص ٤٢
- (<sup>١١</sup>) عباس ياسر ، "صفحات مطوية من تاريخ المرأة في العراق " ، مجلة بين النهرين ، العدد ١٧ ، السنة ٥ ، ١٩٧٧ ، ص ٤٨
- (<sup>١٢</sup>) العارف ، المصدر السابق ، ص ١٣
- (<sup>١٣</sup>) جميل موسى النجار ، التعليم في العراق في العهد العثماني ١٨٦٩-١٩١٨ ، ط١ ، دار الشؤون الثقافية العامة ، (بغداد: ٢٠٠٢) ، ص ص ٧٧-٧٨
- (<sup>١٤</sup>) ابو خلدون ساطع الحصري ، حولىة الثقافة العربية ١٩٤٨-١٩٤٩ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، (القاهرة: ١٩٤٩) ، ص ص ٣-٤
- (<sup>١٥</sup>) العارف ، المصدر السابق ، ص ١٥
- (<sup>١٦</sup>) ابراهيم خليل احمد ، "حركة التربية والتعليم " موسوعة الموصل الحضارية ، ج ٤ ، دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ، ١٩٩٢ ، ص ٣٣٥ ؛ احمد ، تطور التعليم الوطني ... ، ص ٢٧؛ العبيدي ، المصدر السابق ، ص ٣٦
- (<sup>١٧</sup>) سعيد الديوه جي ، مدارس الموصل في العهد العثماني ، (الموصل: ١٩٦٤) ، ص ٢
- (<sup>١٨</sup>) سالنامه نظارة المعارف العمومية (وسوف اشير لها فيما بعد ب (س.ن.م.ع) ) ، ١٣١٧هـ-١٨٩٩ ، ص ١٤٠٦ ،
- (<sup>١٩</sup>) سعيد الديوه جي ، مدارس الموصل في العهد العثماني ، مجلة سومر ، مديرية الاثار القديمة العامة في العراق ، م ١٨ ، ١٩٦٢ ، ص ٦٥ - ص ٩٦ ، م ١٩ ، ١٩٦٣ ، ص ٤٨ - ص ٦٢
- (<sup>٢٠</sup>) س.ن.م.ع ، ١٣١٨هـ-١٩٠٠م ، ص ١٥٧٨ ص ١٥٨٧
- (<sup>٢١</sup>) سليمان صائغ ، تاريخ الموصل ، ج ١ ، المطبعة السلفية ، (مصر: ١٨٧٥) ، ص ٤١
- (<sup>٢٢</sup>) داود الجلي ، مخطوطات الموصل ، مطبعة الفرات ، (بغداد: ١٩٢٧) ، ص ٢٢ ص ٤٠
- (<sup>٢٣</sup>) العارف ، المصدر السابق ، ص ١٥
- (<sup>٢٤</sup>) العبيدي ، المصدر السابق ، ص ٣٧
- (<sup>٢٥</sup>) ابراهيم الوائلي ، الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر ، ط ٢ ، مطبعة المعارف ، (بغداد : ١٩٧٨) ، ص ١٠٤

- (<sup>٢٦</sup>) انظر : قوائم مفصلة عن خريجي هذه المدارس الذين برزوا في الحياة السياسية والثقافية في ولايات العراق عام ١٧٤٩ في الهلال ، المصدر السابق ، ص ص ٩٣ - ٩٦
- (<sup>٢٧</sup>) احمد ، تطور التعليم الوطني ... ، ص ٢٨
- (<sup>٢٨</sup>) العبيدي ، المصدر السابق ، ص ٣٦
- (<sup>٢٩</sup>) الديوه جي ، المصدر السابق ، ص ٧
- (<sup>٣٠</sup>) الهلال ، المصدر السابق ، ص ١١٧
- (<sup>٣١</sup>) الحصري ، حولية الثقافة ... ، ص ص ٣ - ٤
- (<sup>٣٢</sup>) عبدالله فهد النفيسي ، دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث ، (بيروت: ١٩٧٣) ، ص ص ٥١ - ٥٣
- (<sup>٣٣</sup>) العبيدي ، المصدر السابق ، ص ٣٦
- (<sup>٣٤</sup>) صالح فليح حسن ، جغرافية التعليم الابتدائي في العراق ، ط ٢ ، مطبعة دار السلام ، (بغداد: ١٩٧٩) ، ص ٥٣
- (<sup>٣٥</sup>) سالم الحمداني ، "التعليم في الموصل في القرن التاسع عشر" ، مجلة آداب الرافدين ، العدد ١٠ ، اذار ١٩٧٩ ، ص ٤١١
- (<sup>٣٦</sup>) النجار ، المصدر السابق ، ص ١٢٦
- (<sup>٣٧</sup>) الهلال ، المصدر السابق ، ص ١٥٢
- (<sup>٣٨</sup>) اسست بجوار محلة باب الجيش (باب لكش) انظر : صائغ ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٢٢
- (<sup>٣٩</sup>) المصدر نفسه ، نفس الصفحة
- (<sup>٤٠</sup>) عبد العزيز سليمان نوار ، تاريخ العرب الحديث ، ج ١ ، مكتبة سعيد رأفت ، (القاهرة: ١٩٨٣) ، ص ص ٢٤١ - ٢٤٢
- (<sup>٤١</sup>) بيير دي فوسيل ، الحياة في العراق منذ قرن ١٨١٤ - ١٩١٤ ، ترجمة اكرم فاضل ، دار الجمهورية ، (بغداد: ١٩٦٨) ، ص ٤٥
- (<sup>٤٢</sup>) النجار ، المصدر السابق ، ص ١٣٩
- (<sup>٤٣</sup>) john diskinn , The "genesis " of the government education system in iraq ( Pittsburgh university ph .D thesis .1971 ) . p61
- (<sup>٤٤</sup>) النجار ، المصدر السابق ، ص ١٤١
- (<sup>٤٥</sup>) الحصري ، حولية الثقافة ... ، ص ٦
- (<sup>٤٦</sup>) س.ن.م.ع ، ١٩٠١ هـ - ١٩٠٣ م ، ص ٤٦٧ ؛ س.ن.م.ع ، ١٣٢١ هـ - ١٩٠٣ م ، ص ٦٨٧
- (<sup>٤٧</sup>) سالنامه ولاية بغداد ، وسوف اشير لها فيما بعد ب(س.و.ب) ، ١٢٩٢ هـ - ١٨٧٥ م ، ص ٨٣ علماً بان الموصل في سنة صدور هذه السالنامه كانت سنجقا تابعاً لولاية بغداد

(<sup>٤٨</sup>) سالنامه ولاية الموصل ، وسوف اشير لها فيما بعد ب (س.و.م) ، ١٣٠٨هـ-١٨٩٠ م ، ص ٥٦

ص ١٠٥

(<sup>٤٩</sup>) س.و.م ، ١٣١٢هـ ، ١٨٩٤ م ، ص ١٣٢ ؛ س.ن.م.ع ، ١٣٢١هـ ، ١٩٠٣ م ، ص ٦٨٧

(<sup>٥٠</sup>) الحصري ، حولية الثقافة ... ، ص ٦

(<sup>٥١</sup>) س.و.م ، ١٣٠٨هـ - ١٨٩٠ م ، ص ٥٦

(<sup>٥٢</sup>) النجار ، المصدر السابق ، ص ١٥٥

(<sup>٥٣</sup>) المصدر نفسه ، ص ١٥٥

(<sup>٥٤</sup>) س.و.م ، ١٣٢٥ هـ ، ١٩٠٧ م ، ص ١٥٨ ؛ س.ن.م.ع ، ١٣١٦هـ - ١٨٩٨ م ، ص ١٢٠٠

(<sup>٥٥</sup>) النجار ، المصدر السابق ، ص ١٥٩

(<sup>٥٦</sup>) س.ن.م.ع ، ١٣١٦هـ - ١٨٩٨ م ، ص ٩٦٢-٩٦٣

(<sup>٥٧</sup>) المصدر نفسه ، ص ١٢٠٠

(<sup>٥٨</sup>) النجار ، المصدر السابق ، ص ١٦١

(<sup>٥٩</sup>) س.ن.م.ع ، ١٣٢١هـ ، ١٩٠٣ م ، ص ٦٨٧ على ان الهلالي ذكر ان مدرسة الموصل الرشدية

للبنات هذه فتحت بعد سنة ١٩٠٨ انظر : الهلالي ، المصدر السابق ، ص ١٨١ ولكن

(س.ن.م.ع) وهي مصادر اصلية اشارت الى وجود هذه المدرسة واعطت تفاصيلاً لا باس بها عنه

انظر : (س.ن.م.ع) ، ١٣١٧هـ ، ١٨٩٩ م ، ص ١٤٠٤ ولمزيد من التفاصيل انظر : س.و.م ،

١٣٢٥هـ ، ١٩٠٧ م ، ص ١٥٨

(<sup>٦٠</sup>) نعمان الشهير بالوسي زادة ، الاصابة في منع النساء من الكتابة ، مخطوط في مكتبة الاوقاف في

جامعة بغداد ، المكتبة المركزية ، ص ١٢

(<sup>٦١</sup>) النجار ، المصدر السابق ، ص ١٦٣

(<sup>٦٢</sup>) س.ن.م.ع ، ١٣٢١هـ ، ١٩٠٣ م ، ص ٦٧٣

(<sup>٦٣</sup>) نوار ، المصدر السابق ، ص ٢٨٠

(<sup>٦٤</sup>) النجار ، المصدر السابق ، ص ١٦٧